دراسات الأدب المعاصر، السنة الثانية عشرة، ربيع ۱۳۹۹، العدد الخامس والأربعون: صص ۱۴۷– ۱۶۲

دراسة الآراء اللغوية عند أبی حیان التوحیدی فی کتاب "المقابسات"

فاطمه خزلی*
سیدعطاءالله افتخاری**
مرضیه قلی تبار***

تاریخ الوصول: ۹۸/۸/۱
تاریخ القبول: ۹۸/۱۱/۱۹

الملخص

«المُقابسات» من أهم الکتب التی ألّفها *التوحیدی* وأکثرها تمیزاً، فهو أقرب إلی أن یکون کتاباً فلسفیا متخصصا یؤرّخ فترة خصبة من تاریخ الفلسفة العربیة الإسلامیة فی القرن الرابع الهجری. ومن أهمّ نتائج هذا البحث إن جهود *التوحیدی* فی هذا الکتاب ینقسم إلی قسمین هامّین وهما الجانب اللفظی والجانب الدلالی. وهذا الجانب اللفظی یستوعب بعدّة أمور وتلک ضبط المفردات، اللغات فی المفردة، الإفراد والتثنیة والجمع، التذکیر والتأنیث، المقصور والممدود، المولد والمعرب، والجانب الدلالی یحتوی الأصول الإشتقاقیة، دلالة المفردات، الفروق اللغویة، الترادف والتضاد، التصحیح اللغوی. إعتمدنا فی هذه المقالة بمنهج الوصفی التحلیلی، نجعل کتاب «المقابسات» بین أیدینا ونستخرج النصوص التی ترتبط بالجوانب اللفظیة والدلالیة.

الکلمات الدلیلیة: علم اللغة، أبوحیان التوحیدی، المقابسات، الدلالة.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

* طالبة الدکتوراه فی فرع اللغة العربیة وآدابها، جامعة آزاد الإسلامیة، فرع طهران شمال.
** أستاذ مساعد فی قسم اللغة العربیة وآدابها، جامعة آزاد الإسلامیة، فرع طهران شمال.
s.a.eftekhari74@gmail.com
*** أستاذة مساعدة فی قسم اللغة العربیة وآدابها، جامعة آزاد الإسلامیة، فرع طهران شمال.
الکاتب المسؤول: سیدعطاءالله افتخاری

المقدمة

اللغة وسيلة الأدب وأداته، ولم يبدع أحد فی فن من فنون الأدب ما لم يأخذ بناصية اللغة ويتمكن منها، وقد أدرک اللغويون هذه الحقيقة، فكانت لهم وقفات طويلة فی النقد اللغوی، الذی لا يمكن أن نعده موضوعا أدبيا وإن كان هو معيار جودة النص الأدبی، وذلک لأنه تصدی لقضايا لغوية، وكان المتصدون لغويين، ففی النقد اللغوی حياة العربية، إذ هو يجليها، فيميز خبيثها من طيبها، ومعوجها من مستقيمها، وغامضها من جليها، وقريبها من بعيدها. إن *أباحيان التوحيدی* واحد من ألمع مفكری العربية وأدبائها، ولهذا فقد منحه الأدباء والمؤرخون لقب «فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة»(الحموی، ۱۹۲۴: ۵). ذلک أن كتبه تجمع إلى عمق الفكرة إناقة العبارة ورشاقة الأسلوب، «من أجل ذلک فإن بعض المؤرخين أطلق عليه لقب الجاحظ الثانی»(عزالدين: ۳۷۱)، هذا فضلا عن انتهاجه مذهب المعتزلة. *وأبوحيان* على نباهة شأنه وسعة علمه وفضله «كان مضطهدا محدود الرزق، عمل بالوراقة والنسخ»(الحموی، ۱۹۲۸:۵) وقد وصف مهنته هذه «حرفة شؤم»(التوحيدی، أخلاق الموزيری: ۳۰۵؛ الحموی: ۲۸)، كما عمل فی خدمة الوزير *ابن العميد* ثم الوزير *الصاحب بن عباد* حينا آخر(الحموی، ۱۹۲۴: ۵). اطلق *التوحيدی* على كتابه عنوان «المقابسات» وهی تسمية غريبة، لا تخلو من طرافة، وتحتاج الى تفسير فالكلمة مشتقة من فعل «قبس» ومنها قبس من نار، وفی المجاز «قبس منه علما، ای استفاد، ومعنى المقابسات أن يشترک اثنان أو أكثر فی محاورة علمية أو فلسفية فيقبس أحدهما العلم والمعرفة من الآخر، ويعطيه ما عنده منها والظاهر أن *التوحيدی* تجاوز هذا التعريف، فلم يعد محتوی الكتاب مقابسات تجری بين طرفين، بل محاورات وآراء واختيارات ومقالات ومحاضرات وآمال وضبوط جلسات، ضمت إلى بعضها دون ترتيب او تعريب، فشكلت مادة الكتاب(الموقع البيان، ۲۰۰۱).

تحتل كتب فقه اللغة مكاناً بارزاً فی حقل الدراسات اللغوية، وتعد مصدراً ثرياً من مصادرها، وتأتی اهميتها من اسهامها فی حفظ اللغة وجمع مفردات اللغة العربية وتراكيبها. و*لأبی حيان* جهود لا تغفل فی الدرس العربی، فهو قد امتلک عقلية فذة من طراز عقلية *الخليل*، لذا تناول المحدثون مصنفاته بالدرس والتحليل، فجاء أكثر نتاجهم فی رسائل جامعية. تتمثل أهميّة البحث فی أنّه يتناول لوناً لغويّاً مهمّاً لفهم نصّ

المقابسات وهو آرائه اللغوية فی ذلک الزمن ويبين دوره المهمّ فی العصر المنصرمة. نواجه فی هذا المقال عدّة أسئلة ونريد أن نجيب عنها:

۱- هل للمقابسات دور فی علم اللغة؟

۲- أی عناصر اللغوية توجد فی کتاب المقابسات؟

۳- کيف استخدم *ابوحيان التوحيدی* هذه التقنيّة الفنيّة فی کتابه؟

خلفية البحث

مقالة معنون بـ«دراسة أسلوبية فی کتاب الإمتاع والمؤانسة لأبی حيان التوحيدی» من *سيدمحمدرضا ابن الرسول*، *محسن رضاخواه*، مجلة لسان مبين، العدد ۱۲، سنة ۱۳۹۲ش، صص ۱-۲۳. انتشرت مقالة أخری «صورة الإيرانيين فی آثار أبی حيان التوحيدی»، الکاتب *عبدالغنی إيروانی زاده*، *مهدی عابدی*، مجلة الأدب المقارن، سنة ۱۳۸۹ش، العدد ۳، صص ۳۷-۶۸. وکذلک مقالة «أبوحيان التوحيدی بين النزعة العقلية والإتجاه الصوفی»، من *حميدرضا شريعتمداری*، مجلة دراسات فی العلوم الإنسانية، رجب ۱۴۳۳، سنة ۱۹، العدد ۲، صص ۶۷-۸۲. بحثنا عن آراء لغوية عند *أبی حيّان التوحيدی* فی کتاب «المقابسات» فی الإنترنت والمواقع الإلکترونية ولم نجد بحثاً مستقلّاً عنه، وبما أنَّ هذا الموضوع لم يبحث عنه ويحقّق فی بلادنا إيران، نحن قمنا بإيراد وبسط هذا العنصر الإبداعیّ الفنّیّ فی «المقابسات» *لأبی حيان* والمنهج الّذی نستخدمه فی هذه المقالة هو المنهج الوصفیّ التحليلیّ.

أبوحيان التوحيدی وقيمة شعرها

هو علی بن محمد بن العباس أبو حيان التوحيدی اختلف المؤرخون فی أصله بين أنه *شيرازی* او *نيسابوری* أو *واسطی*، ومهما يکن من خلاف فلا شک فی أنه فارسی الأصل، وإلا فما سکتوا عن التعريف بأصله. ومن الغريب أن أحدا من مؤرخيه لم يتعرض لذکر مکان مولده، ولا للوقت الذی ولد فيه، مع أن *ابن قاضی* شهبة ذکر أن أباه محمد بن *العباس* کان يتجر بالتمر فی بغداد. يعنی أن أسرته کانت متخذة بغداد موطنا لها وحارة لاقامتها. نعم، الا يبعد أن أباه سافر فی بعض شأنه إلی إحدی الجهات وصحب معه أمه

وهناک ولدتـه، ولکـن الأقـرب إلـی التحقیـق، والأمـر المتفـق مـع طبیعـة حـال التجـار المتوطنین، أن مولده کان ببغداد. نقول ذلک ونتمسک به حتی یقوم الدلیل علی أنه ولـد بغیرها. أما تاریخ میلاده فقد أغفله کل من کتب عنه، غیر أنه قد حدد سـنه فـی رسـالته التی کتبها فی سنة أربعمائة إلی القاضی *أبی سهل علی بن محمد* حیث قال له فإنی فـی عشر التسعین، إذا تعین أن میلاده کان فی العشرة الثانیة بعد الثلثمائة. وعلیه حق لنـا أن تقول: ولد *أبو حیان التوحیدی* فی بغداد سنة ٣١١ وبها نشأ. مؤلفاته: «الإمتاع والمؤانسة»، «البصائر والـذخائر»، «الصـداقة والصـدیق»، «أخـلاق الـوزیرین» ویسـمی أیضـا «مثالـب الوزیرین»، «المقابسات»، «تقریظ الجاحظ»(ابن خلّکان، لا تا، ج١: ٢٢٨).

أسلوبه یتراوح بین الرقة والجفاف تبعا للموضوع الذی یعالجه، «وإن کـان یسـیر علـی خطی *الجاحظ* فی الإرسال والتقطیع الا أنه لم یکن یملک رشاقة *الجاحظ* وخفة ظله رغم أن بعضهم أطلق علیه لقب الجاحظ الثانی»(عزالدین: ٣٧١)، کما أن موضـوعاته لـم تکـن من بنات الحیاة التی یهواها الناس، بل کان ذا منهج منطقی، موسوعی، فلسـفی وهـذا مـا کان یبعده عن طبقات المجتمـع إلا النخبـة مـن المثقفـین. ومهمـا یکـن، «*فأبو حیـان التوحیدی* لم یکتب أحد بعده ما هو أسهل وأقوی وأشـد تعبیـرا عـن شخصـیة صـاحبه» (متز، ج١: ٤١٦)، فقد جمع فی أسلوبه الصورة الحیة والمعنی العقلـی العمیـق. إنـه أولـع بکتابة الأحداث والأسمار ووقائع التاریخ فی الصورة الروائیة، «قلما یکتفـی بـإیراد الحـادث علی ما عرف وتناقله الرواة، بل یعرض له ویرسل علیه صبا مدرارا من قائض بلاغته وزاخـر بیانه، فاذا هو قصة ذات وقائع وأشخاص وأبطال، تروع إذا مثلت وثروت إذا قـرأت وتملـک المشاعر والقلوب إذا سمعت... ومـن أخـص مزایـاه أنـه یمـزج الأدب بالحکمـة والتصـوف بالفلسفة ویولد من بین هذا المزیج مذهب خاصـا لـه لـم یسـبق إلیه(السـندوبی، مقدمـة المقابسات: ٢-٣).

أسلوب کتاب المقابسات

کان الکتاب الثانی الذی نشر *لأبی حیان* هو کتاب «المقابسـات» الـذی تـولی حقیقـة ونشره بمصر *حسن السندوفی* سنة ١٩٢٩م. سجل *أبو حیان* فیه مـا سـمعه مـن جهابـذة العلماء فی بغداد بمجلس صدیقه وأستاذه *أبی سلیمان المنطقی السجستانی* حینما کـانوا

یتذاکرون ویتحاورون فی موضوعات شیء من الفلسفة والأدب. وهؤلاء العلماء من مذاهب متباینة فیهم الشیعی والشافعی والمعتزلی والملحد، والمجوسی، لکن الفلسفة جمعتهم وحب العلم هذب نفوسهم، وکان الغالب علی تفکیرهم مذهب *أرسطو* وکانوا یطلقون لفکرهم العنان ولا یریدون غیر الوصول إلی الحقیقة. وأکثر موضوعاته دائر حول الفلسفة والنفس والتعلیل وعلم الکلام والأخلاق مثل الأخلاق المتباینة فی الانسان(التوحیدی، المقابسات: ۱۴)، المناسبة بین المنطق والنحو(المصدر نفسه: ۱۶۹)، الضحک حقیقته وأسبابه(المصدر نفسه: ۲۷۴) بعض موضوعات هذا الکتاب لغوی أدبی مثل ظرف المکان وظرف الزمان(المصدر نفسه: ۱۷۲)، ماهیة البلاغة والخطابة وهل هناک بلاغة أحسن من بلاغة العرب(المصدر نفسه: ۲۹۳). وقلیل منها متصل بالدین والتصوف مثل المعاد حق (المصدر نفسه: ۳۴۳) والنوم شاهد علی المعاد(المصدر نفسه: ۳۵۷).

سجل ما دار فی مجالس الذین خالطهم فنقل عنهم، من ذلک نقل عن *أبی سلیمان المنطقی* کلام فی تطهیر النفس وتجریدها عن الشوائب البدنیة(المصدر نفسه: ۱۱۹) لکنه لم یدع أنه وعلی کلامهم بنصه وإنما یجنی فی نقله جیده مع یقینه أن بعضه ند منه وأنه زاد فیه زیادة لا یستقیم الکلام إلا به(المصدر نفسه: ۱۲۴). وأحیانا یحذف من محاورات هؤلاء العلماء ما لا یری فیه فائدة کما قال: «وکان فی کلامهم حشو کثیر حصلت خالصة زیدته وذکرته فی جملة الکلام»(المصدر نفسه: ۱۴۰). إنه أمین فی روایة الخیر فهو إذا حذف أو زاد أو شک فیما نقل أشار إلی ذلک ونبه علیه وإن لم یصل بعقیدة دینیة کما تقل دفاع *أبی سلیمان* عن البعث وزاد علیه من عنده(المصدر نفسه: ۳۵۷). إن *التوحیدی* کان مهتما فی هذا الکتاب بتحدید معانی الألفاظ والتمییز بین المترادفات والکشف عن صلة الفکر واللغة أو المنطق بالنحو ولیس من العسیر علی الباحث أن یستخرج من ثنایا الأفکار الواردة فی المقابسات فلسفة متماسکة قوامها التساؤل عن النفس الإنسانیة والبحث عن الوحدة فیما وراء الکثرة، فان فضل *التوحیدی* فی کتاب «المقابسات» لا ینحصر فی نقل الأفکار و المساجلات التی کانت تدور فی الأوساط العلمیة فی عصره، بل یمتد إلی عملیة تنقیح الآراء وغربلتها وإعادة صیاغتها والتعبیر عنها بأسلوب أدبی تناصع، فلعل هذا مما یجعل لکتاب المقاسات قیمة کبری فی تاریخ الصلات الفکریة بین علمین هامین (بین *أبی حیان وابن مسکویه*) من أعلام الفکر الإسلامی فی القرن الرابع الهجری.

الجهود اللغوية عند أبی حیان التوحیدی فی المقابسات

ابوحیان التوحیدی ذو ثقافة واسعة، إذ وعی ثقافة عصر زخر بـالعلوم والعلمـاء، وذهـب یستقصی علم العربیة، فأدرک فلسفتها، وغاص علی دقائقها، وبلغ فی العلـوم العربیـة مـن الجلالة والخطر ما لم یبلغه إلا القلیل.

تنوعت جهود *أبی حیان التوحیدی* اللغویة واتسعت فی تعلیقاته علی التنبیه، وهی فی جمهورها واعیة لجل المباحث اللغویة التی یعنی بهـا المعجمیـون، لاسـیما أن *الحیـدری* یقدم معجما فی لغة الفقهاء، وقد بدا لنا الملاحظة والتأمل أن هذه الجهود أخـذة جـانبین أساسیین اندرج تحت کل واحد منهما فقرات، وهما الجانب اللغوی، والجانب الدلالی.

ضبط المفردات

ضبط *أبوحیان* جل ما تناوله من مفردات، وقد شمل عمله صیغا اسمیة وفعلیـة، فمـن الإسمیة قوله فی ضبط الإنسان: «الإنسانُ إنّما هو إنسانٌ بِالنّفسِ، والنّفسُ مـا هـو إنسـانٌ. والإنسانُ له صورةٌ بِحَسبِ قبولِـه مِـن الـنّفسِ. والـنّفسُ نفـسٌ بِحَسـبِ مُلابسـتِها لِلبـدنِ وتصریفِها له وتدبیرِها فیه»(مقابسة ١٨). وفی الصیغ الفعلیة، نجـد ضـبطه ینحـو منحـی أکثر عمقا، إذ نبه علی ما قد یترتب علی التصحیف فـی الفعـل مـن اخـتلال فـی الحکـم الفقهی، ومما ضبطه فی هذا الصدد قوله فی الفعل(تفهّم) الوارد فی قول *أبی حیان*: «وحَدُّ الإفهامِ والتّفهُّمِ معروفٌ، وحَدُّ البلاغةِ والخطابةِ موصوفٌ. فالحاجةُ إلی الإفهامِ والتّفهُّمِ، علـی عادةِ أهل اللغةِ، أشدُّ مِن الخطابةِ والبلاغةِ لأنّها مقدمةٌ بالطّبعِ أقـربُ إلینـا، والعقـلُ أبعـدُ عنّا»(مقابسة ٢٢). فکذلک یصرف صیغ الفعل فی النحو العربی لضبطه للقارئین: «النحـوُ؟ فقال، علی ما یحضُرُنی الساعةُ مِن رسمِه علی غیرِ تصفیةِ حَدِّه وتنقیحه: إنّه نظرٌ فی کلامِ العربِ، یعودُ بِتحصیلِ ما تألفُه، وتعتادُه، أو تعرّفُه، وتقلّلُ منـه، أو تعرفُـه، وتحیلُـه، وتأبـاه، وتذهبُ عنه، وتستغنی بِغیرِهِ»(مقابسة ٢٢).

اللغات فی المفردة

أشار *أبوحیان* فی مواضع عدیدة إلی اللغات الواردة فی المفردة، وله فـی ذلـک منهـاج متبع، فقد یورد اللغة من غیر أن یحکی فیها قولا أو یطلق علیها حکما، ومـن ذلـک قولـه

فی «قلتُ له: فما النحوُ؟ فقال، علی ما یحضُرُنی الساعةُ مِن رسمِه علی غیرِ تصفیةِ حَدِّه وتنقیحه: إنّه نظرٌ فی کلامِ العربِ، یعودُ بِتحصیلِ ما تألفُه، وتعتادُه، أو تعرّفُه، وتقلّلُ منه، أو تعرفُه، وتحیلُه، وتأباه، وتذهبُ عنه، وتستغنی بِغیرِه»(مقابسة ۲۲)

إنّ *التوحیدی* فی مقابسة ۹۱ یشیر إلی معانی عدة من الکلمات:

یقالُ: ما الذّکرُ؟ الجوابُ: إحضارُ الذّهنِ ما تقدّمَ وجودُه فی النّفسِ.

یقالُ: ما الذّهنُ؟ الجوابُ: جُودةُ التّمییزِ بینَ الأشیاءِ.

یقالُ: ما الذّکاءُ؟ الجوابُ: سرعةُ الإنقداحِ نحوَ المَعارفِ.

یقالُ: ما الشّکّ؟ الجوابُ: هو تَردُّدُ النّفسِ بینَ الإثباتِ والنّفیِ.

یقالُ: ما الیقینُ؟ الجوابُ: [هو] مطابقةُ العَقلِ مَعقولَه. والیقینُ سکونُ الفَهمِ معَ ثُبوتِ القضیّةِ بِبُرهانٍ. وأیضاً هو وضوحُ حقیقةِ الشّیءِ فی النّفسِ.

یقالُ: ما الکثرةُ؟ الجوابُ: [هی] انفصالُ الهَیُولِیِّ بِأقسامٍ کثیرةٍ عظیمةَ القَدرِ.

یقالُ: ما المَدخَلُ؟ الجوابُ: هو قولٌ یفصّلُ مِن المعانِی ما تحتاجُ إلیه فی معرفةٍ ما هو مَدخَلٌ إلیه(مقابسة ۹۱).

وقد یورد *التوحیدی* اللغة فی المفردة حاکما علیها إما بالصواب أو الفصاحة أو الأولی أو الشذوذ أو غیر ذلک مما اعتمده من ألفاظ فی النقد اللغوی، ولیس مرادنا بهذه الأحکام أن *التوحیدی* أنشأها من عند نفسه، أو أنها له بخاصة، بل ما دام إنه قد نقلها وأقرها لأصحابها نسبناها إلیه تجوزا، ومن ذلک قوله فی الفعل "طبیعة": «سألَنی *أبوسلیمان* یوماً عن الطبیعةِ وقالَ: کیفَ هی عندَ أهلِ النّحوِ واللّغةِ؟ أهی فعیلةٌ بِمَعنی فاعلةٍ، أو بِمَعنی مفعولة؟(مقابسة ۲۴).

فسألتُ *أباسعید* عنها، فقالَ: هذا مِن قبیلِ الأسماءِ المَشوبةِ، فلا یُقالُ لِذلکَ إنّه فعیلٌ بِمَعنی فاعلٍ کَقدیرٍ بِمَعنی قادرٍ، ولا یُقالُ إنّه فعیلٌ بِمَعنی مفعولٍ کَذبیحٍ[بِمَعنی مَذبوحٍ]. و لکِن یُقالُ هو فِعلٌ فی أصلِه کَحَنینٍ وأنینٍ. ومعَ هذا فمَعنی الفعلِ به أقرَبُ مِن معنب الفعل منه، ولِفعیلٍ أسرارٌ ووجوهٌ، وقَد کانَ بعضُ النّاسِ زلَّ فیه عندَ بعضِ الأمراءِ، وإذا لَم یَکُن بُدَّ مِن اعتبارِه علی طریقةِ هذا السّائلِ، فَلِأن یکونَ بِمعنَی مفعولٍ أولَی، وذلکَ أنّا نقولُ: طِباعُه کذا وکذا، وطبیعتُه، أی ما طُبِعَ علیه، وبِمعنَی فِعلٍ، والمفعولُ فیه أبیَنُ، وأخواتُه یُدلّلنَ علی ذلکَ، أعنِی الضّریبةَ، والسّلیقةَ، والسّجیةَ، والغریزةَ.

الإفراد والتثنية والجمع

وقف *التوحيدی* عند عدد يسير من المفردات مشيرا إلى تثنيتها وما يطرأ عليها فی أثناء ذلک، ومن هذه الوقفات قوله فی تثنية "افهام": «والإفهامُ إفهامانِ: ردیءٌ وجيّدٌ. فالأوّلُ لسفلةِ الناسِ؛ لأنّ ذلک غايتُهم، وشبيهٌ بِرُتبتِهم فی نقصِهم. والثانی لِسائر الناسِ؛ لأنّ ذلک جامعٌ للمصالحِ والمنافعِ»(مقابسة ۲۲) وفی كلامه إشارة إلى أصالة كلمة إفهام لذا فإنها تلزم فی التثنية وغيرها، ولا تتأثر بسواها.

وربما اكتفی أحيانا بالإشارة إلى أن المفردة لا تثنى، وقد يحكی فی ذلک خلافاً أما الجمع فقد تنوعت إشاراته فيه، فقد يورد ما فی المفردة من صيغ جمع فحسب، ومن ذلک قوله فی جمع "الزمان": «ومِمّا يشهدُ أنّ الزّمانَ ألطَفُ، أنّکَ تقولُ: زمانٌ حاضرٌ، وزمانٌ ماضِی، وزمانٌ مُستقبلٌ. هذا بِالنّظرِ الأوّلِ، وقَد أحسَّ به كُلُّ النّاسِ. وهو يزيدُ بِالمنطقِ على هذه القسمةِ زيادةٌ بيّنةٌ، ومِن أجلِ تصرّفِ الزّمانِ فی الوجوهِ الكثيرةِ. ثُمّ قالَ: ومِمّا يزيدُ لطافةَ الزّمانِ وضوحاً أنّ الزّمانَ الواحدَ يجرُّ إلى أكثرِ مِن واحدٍ، إلى ما لا آخِرَ لهما، والمكانُ الواحدُ متَى شَغلَ بِالواحدِ عجزَ عن الثّانِی»(مقابسة ۲۳).

وربما علق وهو يحكی صيغة الجمع على جانب منها، وقد بدا ذلک فی حديثه عن "الوحدة" إذ قال: «أخذَ واحداً أو أخذَت وحدةً، فيكونُ مبدأ لِلعددِ الذی هو جمعَ الوحداتِ. وقَد يُؤخَذُ بِمعنی المَعدودِ»(مقابسة ۸۲) ولعل مرد ذلک إلى وجود جمع الجمع للمفردة، فحسبوا أن الموجود هو الجمع. وقد تكون تعليقته بالتنبيه على ما يطرأ على المفردة من تغيير فی الجمع، أو بيان طرف من ذلک، ويتضح هذا الأمر جليا فی جمع الإنس إذ رأيناه يقول: «ويُقالُ أيضاً الواحدُ على ما هو واحدٌ فی الجنسِ، كما يُقالُ: إنّ الإنسانَ والفَرَسَ واحدٌ فی الحيوانيّةِ، ويُقالُ أيضاً: واحدٌ بِالنّوعِ، كما يُقالُ: زيدٌ وعمرو واحدٌ فی الإنسانيّةِ، ويُقالُ أيضاً [واحد] بِمعنی أنّه غيرَ مُتجزّئٍ بِمنزلةِ النقطةِ»(مقابسة ۸۲).

التذكير والتأنيث

تعرض *التوحيدی* للتذكير والتأنيث فی أثناء تعليقاته، فأشار فی غير موضع الى المفردات التی يجوز تذكيرها وتأنيثها، ومن ذلک قوله فی "الطريق": «يذكر ويؤنث». وربما يشير أحيانا إلى جواز الوجهين، إلا أنه ينبه على رجحان أحدهما على الآخر، وقد

یحکی الرجحان بأنه الأکثر، فقال فی "الکلّ: «یا مَن الکُلُّ به واحدٌ، وهو فی الکُلِّ موجودٌ». وکذلک عندما یتحدّث عن الضمایر المؤنثة والمذکرة: «فعلَی هذا الإنسانِ یُحدّثُ نفسَه بِما یغلبُ منها، وتُحّدثُه نفسُه بِما یغلبُ علیها منه، وهو هی وهی هو، ولکِن بِنَوعٍ ونَوعٍ، وحالٍ وحالٍ، وإسمٍ وإسمٍ، وملحوظٍ وملحوظٍ»(مقابسة ۱۸).

المقصور والممدود

تنوعت إشارات *أبی حیان* إلی ذلک، وقد یکتفی بالإفادة أن المفردة مما یقصر ویمد، وقد یذکر أن المد هو المشهور وأن القصر شاذ باطل. رهر فی الأعم الغالب لا یقف عند ما قد یکون بین القصر والمد فی المعنی، فلا یزید فی الذکاء علی القول: «یمد ویقصر». سرعةُ الإنقداحِ نحوَ المَعارفِ. علی أنه لم یفوت الإشارة إلی الفرق فی موضع آخر، فیقول "الهواء": «بِجَذبِ الإنسانِ الهَواءَ بِالحرکةِ الطبیعیةِ وحصرَه فی قصبةِ الرّئةِ ودفعَه ومصاکتهُ بِالحرکةِ الإرادیةِ لِلهواءِ الخارجِ بِحُروفٍ تجذبُها آلةُ اللَّهواتِ» ولا یخفی ما فی المد من تعبیر عن استطالة الهواء حتی یملأ ما بین السماء والأرض، ولیس کذلک القصر.

المولد والمعرب

وقف *التوحیدی* عندهما فی غیر موضع، ففی المولد وقف عند مفرد "الإنسان" الواردة فی مقابسة ۱۸ من کتاب المقابسات، إذ قال: «الإنسانُ إنّما هو إنسانٌ بِالنّفسِ، والنّفسُ ما هو إنسانٌ. والإنسانُ له صورةٌ بِحَسبِ قبولِه مِن النّفسِ. والنّفسُ نفسٌ بِحَسبِ مُلابستِها لِلبدنِ وتصریفِها له وتدبیرِها فیه. فإذا قالَ الإنسانُ: حدّثتنِی نفسی أو حدّثتُ نفسی، فإنّما ذلک لِشعورِه بِشَرفِ نفسِه، بِقَدرِ ما استفادَ مِن صُورتِها الخاصّةِ به واستنارةِ العقلِ علیه. هذا إن کانَ الحدیثُ مُواتیاً لِلحقِّ، آخذاً بِقِسطِه منه، وإن تَکُن الأخری دَخلَ الفسادُ مِن ناحیةِ المادّةِ والخِلطِ والمِزاجِ والقابلِ».

أما المعرب، فقد کانت وقفات *التوحیدی* عنده کثیرة، فربما ذکر أن المفردة معربة من غیر بیان لأصلها، فیقول فی "الکلب/ العین": «فإنّ الکَلبَ یَدُلُّ علی النّابحِ والکوکبِ وحدیدةِ الحدادِ، وکذلک العَینُ علی العُضوِ الذی یبصرُ به، وعلی عینِ الذَّهَبِ، وعینِ الماءِ» (مقابسة ۸۲).

الجانب الدلالية

كان *أبوحيان التوحيدى* متابعاته الدلالية المختلفة التى أخذت مساحة واسعة فى عمله، إذ لم يلبث أن نبه على الدلالات المتنوعة للمفردات، وسنتناول هذا الجانب على النحو الآتى:

١.الأصول الاشتقاقية

على *أبى حيان* بيان الأصول الشتقاقية للمفردات، وقد دار حديثه فى جمهوره على الدلالة، وله فى ذلک منهاج، فقد يورد للمفردة أصلا واحدا، ومن ذلک قوله فى اشتقاق «ومِن شَأنِ الحسِّ التّبدُّدُ فى نفسِه، والتّبديدُ فى نفسِه. والمعانِى تستفيدُها النّفسُ، ومِن شأنِها التّوحّدُ بها والتّوحيدُ لها»(مقابسة ۶).

وفى موضع أخر تلفى وقفته تجىء متريثة ضافية، فيقول فى اشتقاق "طبيعة": «أنّا نقولُ: طِباعُه كذا وكذا، وطبيعتُه، أى ما طُبِعَ عليه، وبِمعنَى فِعلٍ، والمفعولُ فيه أبيَنُ، وأخواتُه يُدلّلنَ على ذلکَ، أعنِى الضّريبةَ، والسّليقةَ، والسّجيةَ، والغريزةَ»(مقابسة ٢۴).

ومن ذلک اشتقاق فى كلمة "واحد، أحد، إحدى" ولكن له معانٍ متعددة ضمن اشتقاقه: «كنتُ أحدَهم سنةَ إحدى وتسعينَ وثلثمائةٍ وقَد سُئلَ عن الواحدِ فقالَ: «الواحدُ إسمٌ مشتركٌ يدلُّ على معانى كثيرةٍ، أحدُها وهو أحقُّها بِهذا الإسمِ، فهو واحدٌ بِالعددِ، وهو إمّا أن يوجدَ مِن حيثُ هو مطلقٌ، وموضوعُها النّفسُ مِن غيرِ أن يوجدَ معَه أمرٌ مِن الموجوداتِ، وهو بهذا الوجهِ يعنى المعادَ، وعلى هذا سواءً أخذَ واحداً أو أخذَت وحدةً، فيكونُ مبدأ لِلعددِ الذى هو جمعَ الوحداتِ. وقَد يُؤخَذُ بِمعنى المَعدودِ، كما يُقالُ: فرسٌ واحدٌ، وإنسانٌ واحدٌ. وهذا الواحدُ بِمعنى المَعدودِ»(مقابسة ٨٢).

٢.دلالة المفردات

لا تكاد صفحة من كتاب *التوحيدى* تخلو من وقفة عند دلالة المفردات، وسنقتصر من ذلک على ما كان له فيه توجيه أو متابعة، فمن متابعته المستفيضة ما أورده فى معانى "النقطة"، إذ قال: «النقطةُ هى وحدةٌ ما لا وضعَ لها. والنقطةُ هى مبدأ الكَمِّ المتّصلِ بِمنزلةِ الخطِّ الذى يتّصلُ أجزاؤه بعضُها بِبَعضٍ بِحَدٍّ مشتركٍ هى النقطةُ. فالنقطةُ إذاً هى

وحدةٌ ما لها وضعٌ»(مقابسة ۷۴) وکذلک فی دلالة لفظ "الوحدة" إذ قال: «أنّ الوحدةَ هی نقطةٌ ما لا وضعَ لها فالوحدةُ هی مبدأ الواحدیةِ وهی الکَمُّ المنفصلُ بِمنزلةِ العددِ المؤتلفِ مِن الوحداتِ التی تجتمعُ مِن غیرِ اتصالِ أحداثِها بالأخری»(مقابسة ۷۴).

إنّ *أبا حیان التوحیدی* یشرح معانی ودلالات لفظین وهما "فعل/ عمل": الفعلُ یُقالُ علی ما ینقضِی معَ انقضاءِ الحرکةِ، والعملُ یُقالُ علی الآثارِ التی تثبتُ فی الذّواتِ بعدَ انقضاءِ الحرکةِ. قالَ: والفعلُ أیضاً یعمُّ کلَّ معنی صادرَ عن ذاتٍ، وحَدُّ الفعلِ أنّه کیفیةُ صادرةٍ عن ذاتٍ، والإنفعالُ کیفیةُ واردةٍ علی ذاتٍ. فالفعلُ یُقالُ علی التحقیقِ علی هذا المعنی، وهو الذی یُقالُ إنّه مقولةٌ مِن المقولاتِ العشرِ. ویُقالُ، علی العمومِ، أی علی أیِّ معنی صُدِرَ عن ذاتٍ»(مقابسة ۷۵) ولم یغب عن *التوحیدی* أن یعرج علی العلاقات الدولیة الموجودة بین عدد من المفردات، من حیث العموم الخصوص وغیر ذلک، کما نراه فی لفظ "الواحد" إذ قال: «الواحدُ إسمٌ مشترکٌ یدلُّ علی معانی کثیرةٍ، أحدُها وهو أحقُّها بِهذا الإسمِ، فهو واحدٌ بِالعددِ، وهو إمّا أن یوجدَ مِن حیثُ هو مطلقٌ، وموضوعُها النّفسُ مِن غیرِ أن یوجدَ معَه أمرٌ مِن الموجوداتِ، وهو بهذا الوجهِ یعنی المعادَ، وعلی هذا سواءً أخذَ واحداً أو أخذَت وحدةً، فیکونُ مبدأ لِلعددِ الذی هو جمعَ الوحداتِ. وقَد یُؤخَذُ بِمعنی المَعدودِ، کما یُقالُ: فرسٌ واحدٌ، وإنسانٌ واحدٌ. وهذا الواحدُ بِمعنی المَعدودِ»(مقابسة ۸۲) ویُقالُ أیضاً الواحدُ علی ما هو واحدٌ فی الجنسِ، کما یُقالُ: إنّ الإنسانَ والفَرَسَ واحدٌ فی الحیوانیّةِ، ویُقالُ أیضاً: واحدٌ بِالنّوعِ، کما یُقالُ: زیدٌ وعمرو واحدٌ فی الإنسانیّةِ، ویُقالُ أیضاً [واحد] بِمعنی أنّه غیرَ مُتجزّئٍ بِمنزلةِ النقطةِ.

۳.الترادف والتضاد

وقف *أبوحیان التوحیدی* عند هاتین الظاهرتین اللغویین، وکما کانت له نظراته فی الفروق اللغویة أو الدلالیة بین المفردات، استرقنه الترادف بینها، ومن ذلک قوله فی «فالإختلافُ فی الأوّلِ بالواجبِ، والإتّفاقُ فی الثانِی بالواجبِ، وبالجملةِ الألفاظُ وسائطُ بینَ النّاطقِ والسّامعِ»(مقابسة ۶).

أما التضاد، فقد تناوله *التوحیدی* فیه عدة ألفاظ مرّات عدیدة فی موضع، وجاء حدیثه عنهم یکمل بعضه بعضا، فقال: «قلتُ له: فما المنطقُ؟ قال: آلةٌ یقعُ بها الفصلَ والتمییزَ

بينَ ما يُقالُ هو حقٌّ أو باطلٌ فيما يعتقدُ، وبينَ ما يُقالُ هو خيرٌ أو شرٌّ فيما يفعلُ، وبينَ ما يُقالُ هو صِدقٌ أو كِذبٌ فيما يطلقُ بِاللّسانِ، وبينَ ما يُقالُ هو حَسَنٌ أو قبيحٌ بِالعقلِ. قلتُ: فهَل يُعينُ أحدُهما صاحبَه؟ قالَ: نَعَم، وأيُّ معونةٍ! إذا اجتمَعَ المنطقُ العقليُّ والمنطقُ الحسّيُّ، فهو الغايةُ والكمالُ»(مقابسة ٢٢).

ومثال آخر: «لا سبيل الى معرفه الحق من الباطل، والصدق من الكذب، والخير من الشر، والحجة من الشبه، والشک من اليقين، الا بما حويناه من المنطق»(مقابسة ٦٩).

ونوع من الترادف فی هذه الجملة التی قالها *أبوحیان*: «ويُقالُ أيضاً على ما هو واحدٌ فی الحدِّ، وكثيرٌ فی الإسمِ، كما يُقالُ: إنّ الثّوبَ والرّداءَ، والإنسانَ والبَشرَ، واحدٌ فی الحدِّ، وكذلک الخمرُ والخندريسُ وسائرُ الأسماءِ المترادفةِ على معنى واحدٍ»(مقابسة ٨٢).

ومثال آخر: «ويُقالُ أيضاً على ما هو واحدٌ فی الإسمِ، كثيرٌ فی الحدِّ، بِمنزلةِ الكَلبِ والعَينِ، فإنّ الكَلبَ يَدُلُّ على النّابحِ والكوكبِ وحديدةِ الحدادِ، وكذلک العَينُ على العُضوِ الذی يبصرُ به، وعلى عينِ الذَّهَبِ، وعينِ الماءِ، وغيرَ ذلک»(مقابسة ٨٢).

التصحيح اللغوية

لا ترمی إلى جعل هذا الجانب جزءً من جهد *التوحيدی* فی الدلالة اللغوية لكنه لما كان يتعلق باللفظ تارة والدلالة أخرى، ختمنا به البحث على هذه الشاكلة ولم يفت *التوحيدی* وهو يعلق على ألفاظ التنبيه أن يشير إلى طرف مما يوقع فيه من أخطاء لغوية إن فی اللفظ أو المعنى، ومن هذه التصحيحات تعليقه على لفظة "الخير": «الخيرُ على الحقيقةِ هو المُرادُ لِذاتِه، والخيرُ بالإستعارةِ هو المُرادُ لِغيرِه، والمُرادُ منه ما يُرادُ لِذاتِه فقط وما يُرادُ لِغيرِه فقط، ومنه ما يُرادُ لِذاتِه ولِغيرِه. والذی يُرادُ لِغيرِه [فقط] بِمنزلةِ الدّواءِ، والذی يُرادُ لِذاتِه فقط بِمنزلةِ السّعادةِ، والذی يُرادُ لِذاتِه ولِغيرِه بِمنزلةِ الصّحّةِ»(مقابسة ٨١).

يقالُ: ما اللّحنُ؟ الجوابُ: صوتٌ بِترجيعٍ خارجٍ مِن غلظٍ إلى حِدّةٍ ومِن حِدّةٍ إلى غلظٍ، بِفصولٍ بيّنةٍ لِلسّمعِ واضحةٍ لِلطّبعِ(مقابسة ٩١).

إنّ *أبا حيان* يوضح كيفية لحن كلمة "كرة" وطنينه: يقالُ: ما الطّنينُ؟ الجوابُ: هو رجوعُ الهَواءِ مِن جِرمِ المقروعِ إلى جزءٍ منه، وذلک أنّ الجِرمَ العميقِ الأملسِ إذا قرعَه

شیءٌ نبا عنه ثمّ عادَ إلیه کالکرةِ إذا ضربَ بها الأرضُ. وکذلک الصّدی مِن المتکلّمِ(مقابسة ۹۱). کما أن النحو عیار اللسان فیما یمکن أن یغلط فیه اللسان من العباره، کذلک علم المنطق عیار العقل فیما یمکن أن یغلط فیه من المعقولات(فارابی، ۱۴۰۸: ۱۱/۱) وما ألفیناه عنده من تفسیر أو تعلیل للبعض تعریفٍ، نلفیه أوسع فی موضع أخر، وذلک قوله فی قول الفقهاء: «النحوُ تحقّقُ المعنی بِاللّفظِ، والمنطقُ تحقیقُ المعنی بِالعقلِ. وقَد یزولُ اللّفظُ والمعنی بِحالِه لا یزولُ ولا یحولُ، فأمّا المعنی فإنّه متی زالَ إلی معنی آخرَ تغیّرَ المعقولُ. والنحوُ یدخلُ المنطقَ ولکن مزیّناً له، والمنطقُ یدخلُ النحوَ محقّقاً له. وقَد یفهمُ بعضُ الأغراضِ وإن عُرّیَ لفظُه مِن النحوِ، ولا یفهمُ شیءٌ منها إذا عُرّیَ مِن العقلِ. فالعقلُ أشدُّ انتظاماً للمنطقِ، والنحوُ أشدُّ التحاماً بالطّبعِ. والنحوُ شکلٌ سمعیٌّ، والمنطقُ شکلٌ عقلیٌّ(مقابسة ۲۲).

ومثال آخر فی تلفّظ لکلمة "الشعر" إذ قال: «کلامٌ مرکّبٌ مِن حروفٍ ساکنةٍ ومتحرّکةٍ، بِقوافٍ متواترةٍ، ومعانِی معتادةٍ، ومقاطعَ موزونةٍ، وفنونٍ معروفةٍ»(مقابسة ۹۱).

نتیجة البحث

تشیر نتائج هذه الدراسة إلی أن *أبا حیان التوحیدی* بفضل قوته اللغویة أفادت من طاقات لغتها اللغة العربیة عامة وطاقات دلالات اللغة عند کتاب «المقابسات». إن جهود *التوحیدی* فی هذا الکتاب ینقسم إلی قسمین هامّین وهما الجانب اللفظی والجانب الدلالی. وهذا الجانب اللفظی یستوعب بعدّة أمور وتلک ضبط المفردات، اللغات فی المفردة، الإفراد والتثنیة والجمع، التذکیر والتأنیث، المقصور والممدود، المولد والمعرب، والجانب الدلالی یحتوی علی الأصول الإشتقاقیة، دلالة المفردات، الفروق اللغویة، الترادف والتضاد، التصحیح اللغوی. وهذه الدلالات تفترق کثرته عند *أبی حیّان التوحیدی* وکما شاهدنا فی بعض من مقابساته استفاد من الترادف والتضاد، الأصول الإشتقاق والمفردات أکثر من آخر الجوانب.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن خلّكان، أحمد بن محمد بن أبی بكر. لا تـا، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمـان**، تحقيـق: إحسـان عباس، بيروت: دار الكتب العلمية.

التوحيدی، علی بن محمد. ۱۹۵۳م، **المقابسات**، تحقيق: حسن السندوبی، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

الحموی، ياقوت بن عبدالله. ۱۴۱۴ق، **معجم الأدباء**، بيروت: دار الغرب الإسلامی.

الحموی، ياقوت بن عبدالله. ۱۹۷۹م، **معجم البلدان**، بيروت: دار إحياء التراث العربی.

الزبيدی، محمد مرتضی الحسينی. ۱۹۶۶م، **تاج العروس من جواهر القاموس**، بيروت: دار صادر.

عزالدين، اسماعيل. ۱۹۷۵م، **المصادر الأدبية واللغوية**، بيروت: دار النهضة الأدبية.

متز، آدام. لا تا، **الحضارة الإسلامية فی القرن الرابع الهجری أو عصر النهضـة فی الإسلام**، تعريـب محمد عبدالهادی أبوريد، الطبعة الخامسة، بيروت: دار الكتاب العربی.

المقالات

حمود، ماجدة. ۱۴۲۲ق، «**صورة الآخر لـدی أبـی حيـان التوحيـدی**»، آفـاق الحضـارة الإسـلامية، العدد۱۲، صص ۸۳-۱۱۲.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

A Study on Verbal Ideas by Abū Hayyān al-Tawhīdī in Al-Muqabasat Book

Fatemeh Khezeli
PhD Candidate, Arabic Language & Literature, Islamic Azad University, North Tehran Branch

Seyyed Attaollah Eftekhari
Assistant Professor, Arabic Language & Literature, Islamic Azad University, North Tehran Branch

Marziyeh Gholi Tabar
Assistant Professor, Arabic Language & Literature, Islamic Azad University, North Tehran Branch

Abstract
Al-Muqabasat book is known as one of the most important and famous books by Abū Hayyān al-Tawhīdī; because the mentioned book is more a specialized philosophical book which studies the history of Islamic philosophy in fourth century. One of the results of the present research is that Monotheism theories in this book are divided into two important aspects: verbal and semantic. The verbal aspect may contain various parts of speech such as lexicon, existing languages in terms, singular, plural, feminine and masculine; and semantic aspect involves derivative principles and stems, semantic words, lexical differences, synonym, antonym and correction. The applied method of the present research is analytical – descriptive and the aim is to cite the contexts relating verbal and semantic aspects.

Keywords: linguistics, Abū Hayyān al-Tawhīdī, Al-Muqabasat, semantics.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

بررسی آراء زبانی ابوحیان توحیدی در کتاب المقابسات

فاطمه خزلی*

سیدعطاءالله افتخاری**

مرضیه قلی تبار***

چکیده

کتاب «المقابسات» از مهم‌ترین و برجسته ترین کتاب‌های *ابوحیان توحیدی* به حساب می‌آید، زیرا این کتاب بیش‌تر به کتاب تخصصی فلسفی‌ای می‌ماند که به دوره بارور تاریخ فلسفه اسلامی در قرن چهارم هجری می‌پردازد. از جمله نتایج پژوهش حاضر این است که نظرات *توحیدی* در این کتاب را می‌توان به دو بخش مهم جنبه لفظی و دلالتی(معنایی) تقسیم کرد. جنبه لفظی چندین چیز را در خود جای می‌دهد: واژگان، زبان‌های موجود در واژگان، مفرد، تثنیه و جمع، تذکیر و تأنیث، مقصور و ممدود، ساخته شده و معرّب جنبه معنایی نیز شامل اصول و ریشه‌های اشتقاقی، واژگان معنایی، تفاوت‌های واژگانی، ترادف، تضاد، و تصحیح می‌شود. در این مقاله، روش تحلیلی توصیفی را اتخاذ کرده‌ایم و کار ما روی کتاب «المقابسات» به این شیوه است که متونی را که مربوط به جنبه‌های لفظی و دلالتی است، استخراج کنیم.

کلیدواژگان: زبانشناسی، ابوحیان توحیدی، المقابسات، معناشناسی.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

* دانشجوی دکتری رشته زبان و ادبیات عربی، دانشگاه آزاد اسلامی، واحد تهران شمال.

** استادیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه آزاد اسلامی، واحد تهران شمال.

*** استادیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه آزاد اسلامی، واحد تهران شمال.